التحديات المعاصرة تحتاج الى حلول جديدة

يعلمنا تاريخ الحضارات – بما فيها الحضارة العربية الإسلامية – أنه لا توجد ثقافة مستقلة كلياً عن الثقافات الإنسانية الأخرى ، لأن الثقافات محكومة بآليات وأنساق التفاعل والتثاقف والتلاقح حتى وإن كان ذلك يتحقق بنسب متفاوتة.

والحال أن نسب التفاوت في هذه الآليات والأنساق ، محكومة هي الأخرى بقدرة كل ثقافة على التجدد والاستجابة لتحديات التحول في أزمنة الانعطافات التاريخية الكبرى ، أي بقدرتها على إبداع حلول معاصرة للمشاكل الجديدة التي تبرز وتستجد في مجرى تطور مجتمعاتها ، بدلاً من النزوع إلى الإقامة الدائمة في الماضي ، والمحافظة على البنى المتكلّسة للثقافة الموروثة ، والإفراط في الوهم بامكانية إعادة انتاج حلول ماضوية لإشكاليات ثقافية معاصرة ، أو الاستنساخ الأعمى لحلول جاهزة أبدعتها ثقافات أخرى .

أحمد الحبيشي

من المفيد بهذا الصدد الإحاطة بمضمون دراسة قيمة حول موقف بعض الجماعات الاسلامية من الغرب نشرها المفكر الاسلامي حسين أحمد أمين في مجلة " العربي" الكويتية في عددها رقم ٤٠٢ الصادر في شهر مايو ١٩٩٢م ، وقد تضمنت هذه الدراسة مقاربة تاريخية بين هذا الموقف وبين موقف مماثل له في الاديان الأخرى ، مشيرة إلى أن التجارب التاريخية دلت على ظهور جماعات دينية انعزالية في المجتمعات التي تمر بهزات عنيفة ، حيث تميل هذه الجماعات إلى إغلاق الابواب أمامها وتنزع إلى العيش في طوطم خاص بها ، وتتجنب الإنفتاح أوالإتصال بالتيارات العلمية والفكرية التي عرفتها تلك المجتمعات في أوقات مختلفة .

ويوضح د. حسين أمين فكرته بتفصيل أدق بقوله :«كان هذا هو ما حدث أيضاً في العالم الاسلامي مع بداية الثلاثينات من هذه القرن حين بدأت جماعات اسلامية تظهر دعوة شديدة الإختلاف عن دعوة المصلحين الإسلاميين من اتباع الطهطاوي ومحمد عبده ، بل ورأت في هؤلاء المصلحين دعاة التغريب ، إذ هم لم يطعنوا في قيم الغرب بل انتحلوها للاسلام » .

ويرى حسين أمين إن هذه الجماعات اعتقدت منذ ظهور الإخوان المسلمين بأن الإسلام قادر على التصدي لهذه التحديات بمفرده دونما حاجة إلى اقتباس من حضارات أخرى، غير أنهم لم يفلحوا إلا في ابراز حفنة من النقاط والقضايا التي ركزوا عليها والحّوا في تكرارها إلى حد الإملال واعني بها مسائل الربا وفائدة البنوك وسفور المرأة وتحديد النسل والحدود والنقور من استخدام مناهج البحث العلمي والتاريخي في العلوم الانسانية.

وبحسب تحليل المفكر الإسلامي حسين أمين فان هذه الجماعات وبضمنها جماعات الأخوان المسلمين تفهم المعرفة والمعلومات بأنها ثابتة وخالدة، وقد نجم عن ذلك الفهم ثلاث عواقب :

الأولى: أن المعرفة عندهم لم تعد عنصراً ابداعياً ديناميكيا في الفكر مما اسهم في قهر كل نشاط فكري حر بدعوى مخالفته لعقيدة السلف .

الثانية : أن اعتبار المعرفة دائرة مغلقة وثابتة ، يجعل من الصعب تقبل او ابداع المعارف الجديدة ما لم تجد لها سنداً في فكر السلف الأقدمين .

الثالثة : أن سبيل اكتساب المعرفة هو تجميعها من كتب الأسلاف أو الكتب الحديثة القائمة على كتب الأسلاف لا التحليل والاستنباط والتجربة والفكر الحر ، وكلها عواقب خلقت عند غير المسلمين تصوراً خاطئاً بأنهِ لا يمكن أن يكون للإسلام مستقبل ما دام عاجزا عن مسايرة التطور العلمي والتكنلوجي للحضارة المعاصرة.

يحلو للخطاب السلفي الشعبوي الراديكالي أن يستشهد في بعض مداولاته الفكرية بالتجربة اليابانية التي تمكنت من النهوض بعد هزيمتها في الحرب الثانية ، دون أن تتراجع عن اصوليتها الكونفوشية ، بيد أن أنصار هذا الخطاب يتجاهلون ميكانيزمات القدرة اليابانية على الإستجابة للتحديات الحضارية ، فقد وقع الخطاب السلفي العربي في وهم تاريخي عندما فاته التمييز بين الاستعمار الغربي الحديث ومن ورائه حضارته الرأسمالية الجديدة، وبين الحملات الصليبية وإرثها في العصور الوسطى ، حيث ركزت اليابان على الطابع الرأسمالي للحضارة المعاصرة ، ثم استوعبت قيمها الحديثة وتلاقحت معها في سياق حضاري مشترك ، بعيداً عن أي توصيف ديني او ثقافي او جهوي ، بعكس ما بفعله الخطاب السلفي في العالم العربي والإسلامي حين يصر على توصيف الحضارة المعاصرة جهوياً (الغربية) او دينياً (المسيحية).

والثابت أن السلفية نجحت في صد الحملات الصليبية ولم تنظر اليها كحرب دينية مع انها كانت تشتمل على شيء من هذه ، بل اطلقت عليها اسم حروب الفرنجة ، ثم نامت بعدها مطمئنة إلى انتصارها التاريخي وإلى تفوقها على الغرب المسيحي الفرنجي ، الأمر الذي فوّت عليها ادراك معنى خمسة قرون من النهضة الحضارية الانسانية الحديثة ، ومن التحولات الجوهرية غير المعهودة من قبل في مجالات الفكر والعلوم والاجتماع والتقنية ، وكانت النتيجة إن خسرت معارك الحرب بعد أن فاتها الاسهام في معركة الحضارة ، ولم يظهر عليها انها استوعبت الأبعاد الكاملة لأزمتها التاريخية بعد تلك الهزائم إذ لم تقدم استجابة حاسمة للتحدي بعد!!

يقيناً أن ثمة حاجة ماسة لمعالجة فجوة التخلف الحضاري التي يعيشها العالم العربي والإسلامي .. ولا يمكننا عبور هذه الفجوة الا باكتشاف الإسلام في داخل هذه الحضارة التي أعطت الإنسان انجازات عظيمة ، ونقلت حياته الى مستوى متطور ، حيث تعلق البشرية على منجزاتها العلمية والتقنية تطلعات مشروعة لتجاوز مشاكل الفقر والتخلف والمرض .

مامن شك في أن التمسك بالخطاب الثقافوي الملتبس بالدين سيقودنا اما الى الإنعزال وبالتالي تعميق الفجوة الحضارية ، او الخضوع لما يريده ورثة الخطاب الإستعماري في الغرب ، وهو خطاب ثقافوي أيضاً يسعى الى فرض خيارين لا ثالث لهما ، خيار الإنعزال او خيار الخضوع.

لعل المطلوب هو إحياء فكر رواد التنوير وتطويره بعد إعادة قراءته بالنظر الى المتغيرات الهائلة التي حدثت في بنية الحضارة المعاصرة خلال القرنين الماضيين ، وتجاوزت بالضرورة محددات سؤال النهضة الذي طرحه رواد فكر التنوير في العالم العربي والإسلامي في القرن التاسع عشر ، لأن إحياء فكر رواد التنوير يؤهلنا لإكتشاف القيم الحضارية الحديثة ، وهي لا تتعارض بالضرورة مع القيم الإسلامية الصحيحة والأصيلة .. مع الأخذ بعين الإعتبار ان الحضارة الإسلامية أسهمت في صنع القيم الحديثة عبر سيرورة التحولات الحضارية .

ولاريب في أن الثقافة السلفية البدوية التي ابتعدت عن جوهر الإسلام غير مؤهلة لإكتشافه داخل حضارة العصر ، ناهيك عن ان النزعة الماضوية لهذه الثقافة كان لها دور كبير في وجود هذه الفجوة الحضارية ، والحيلولة دون عبورها منذ ظهورها في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، اللذين يؤرخان لبداية تراجع الحضارة الإسلامية.. وعليه فإن نقد هذه الثقافة يبدأ بإعادة الإعتبار للعقل الذي تعرض للعدوان والتغييب على يدها منذ حوالي تسعمائة عام!!

وحين نعيد الاعتبار للعقل ورواده الأوائل ، سيصبح بالإمكان التخلص من تأويل هذه الثقافة للإسلام ، وهو تأويل عاد بنا الى ثقافة الجاهلية وابتعد كثيراً عن الإسلام . ولابد أن يتكامل هذا النقد مع نقد آخر مواز لمظاهر الخلل في الحضارة المعاصرة ، وهو الخلل الذي يغذي الكثير من الإختلالات المسؤولة عن غياب التوازن في ميدان انتاج واستهلاك الحضارة ، وتهميش غالبية شعوب وبلدان الكرة الأرضية ، ووقوع أكثر من نصف البشرية تحت خط الفقر ، وتصاعد نزعات الهيمنة والسيطرة التي تسعى الى تكريس التبعية السياسية والإقتصادية والثقافية في العلاقات بين الدول والشعوب والثقافات ، وصولاً الى بروز ميول خطيرة تتجه نحو مصادرة التنوع الثقافي عبر فرض بعد واحد للسياسة الدولية والحضارة العالمية .

وحتى لا نخطئ الطريق يتوجب القول بأننا لسنا وحدنا من يهمه هذا النقد ، فهناك اوساط أكاديمية وإجتماعية ودينية من الغرب والشرق تشارك على حد سواء في نقد مظاهر الخلل الذي يشوه بعض جوانب الحضارة الحديثة ، ولذلك فإن نقدنا لهذه الحضارة يجب أن ينطلق من الإيمان بالقيم الإنسانية المشتركة لمختلف الثقافات والأديان والأمم التي يوحدها مصير مشترك .. بمعنى أن يتكامل نقدنا للآخر مع النقد الذاتي الذي سبقتنا اليه قوى حية في الغرب أسهمت ولا تزال تسهم في نشر مبادئ الحرية والديمقراطية والعدالة وحقوق الإنسان والسلام والمساواة والتسامح الديني والتضامن الإنساني ، وتصدت ولا تزال تتصدى لنزعات السيطرة والهيمنة والإلغاء ، وتدعوا الى الحفاظ على البيئة وحماية الطبيعة وإعلاء القيم الإنسانية المشتركة .

خلاصة القول إن نجاحنا في النقد الإيجابي لمظاهر الخلل في الحضارة العالمية السائدة يتوقف على مدى نجاحنا في تأسيس رؤية ثقافية منفتحة على الآخر ، ومحفزة للعقل بوصفه أداة للتفكير الموضوعي والبحث العلمي ، الأمر الذي من شأنه أن يساهم في تطوير فهمنا للعالم والتفاعل مع متغيراته وتجاوز رواسب الجمود والتعصب والإنغلاق وغيرها من الكوابح التي تكرس الإقامة الدائمة في الماضي ، وتحول دون الخروج من فجوة الإنقطاع الحضاري ، وصولا الى الإنتقال من ثقافة الهوية الى ثقافة المشاركة ، وهو المدخل الوحيد لمشاركة الشعوب والأمم والثقافات المختلفة في حراك الحضارة الإنسانية المعاصرة .

نقلاً عن / صحيفة (26 سبتمبر)

أوقفوا الحروب الساخنة والباردة بين السنّة والشيعة

حميد الكفائي

نادرا ما كان الاختلاف الفكري أو العقائدي يوما مدعاة للحرب بين شعوب الأرض عبر التاريخ ولم نسمع أن حربا اندلعت لأن الزعيم الفلاني أو المفكر الفلاني يختلف مع آخر في رأي أو معتقد. لكن الحروب والمعارك تخاض عندما تنشأ حالة من التعارض في المصالح أو التنافس على الأموال أو السلطة أو النفوذ. التغالب، كما أطلق عليه عالم الاجتماع العراقي المعروف علي الوردي، لا ينشأ بسبب الاختلاف في الأفكار بل بسبب الخوف من فقدان المكتسبات للآخر، رغم أنها حالة متجذرة عند الإنسان البدوي، كما يقول الوردي إلا أن لها أسبابها السياسية والاقتصادية حتى في الحالات البدائية منها. اختلاف المسلمين في الرأي وتنافسهم في ما بينهم على مختلف الأمور كان قائما في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) إلا أن وجوده كحكم مطاع من قبل الجميع قد منع من أن يتطور التنافس إلى قتال في عهده. إلا أنه، وسرعان ما توفي النبي، نشب الخلاف، الذي تطور إلى قتال في بعض الأحيان، بين المسلمين ولم ينته حتى هذه اللحظة. وبسبب كل ذلك التنافس على السلطة أو المال أو النفوذ، وليس الاختلاف في الرأي أو الاجتهاد الفقهي، قتل وشرد واضطهد الآلاف بل الملايين من الناس وتأخرت الأمة الإسلامية قرونا من دون أن تكون هناك مساع حقيقية لإنهاء هذه الحالة. فكم أراد النبي وأئمة الفقه من بعده أن يدربوا المسلمين على القبول بالآخر وكم من حديث يشجع على التفكير والتحقيق بل والاختلاف (اختلاف أمتي رحمة)؟ لكن كل هذه الدعوات والأوامر لم يلتزم بها القادة والمتنفذون المسلمون الطامحون إلى الغلبة وتحقيق المكاسب على حساب الآخرين عبر التاريخ.

وطيلة الأربعة عشر قرنا الماضية تطورت المدارس الفقهية وانتشرت وتعددت ولم تقع الحروب إلا عندما تكون هناك مخاوف من أن تكسب الغلبة فئة على حساب أخرى، وكلما أرادت فئة أن تتغلب على أخرى لجأت إلى الدين كي تبرر تجاوزاتها، وقد رأينا دولا وامارات تتحول عبر التاريخ من مذهب إلى آخر لأسباب أو مصالح سياسية واقتصادية. إن الصراع الطائفي لا يندلع لمجرد وجود اختلافات في الاجتهادات الفقهية أو الكلامية، لكن شرارة الصراع تنطلق عند وجود انقسامات أو منافسات سياسية تستند إلى معطيات طائفية، أو العكس، عند توفر انقسامات طائفية تستند إلى معطيات انقسام في الواقع السياسي.

ليست الاختلافات الفقهية بين المذاهب السنية الأربعة نفسها أقل من الاختلافات بين الشيعة والسنة، بل في بعض المواضع هي أكبر وأعمق، لكنها بقيت اختلافات فقهية وفكرية ولم تتطور إلى اقتتال لأنه ليس هناك من يخشى على وجوده من الآخر فلكل رأيه وموقفه وفي نهاية المطاف يسعى الجميع لصالح الدين والناس. غير أن الخلاف بين السنة والشيعة اتخذ منحى آخر منذ البداية، ومخطئ من يتصور أن أتباع المذهبين لم يقتتلوا، فقد حصل ذلك على مر التاريخ خصوصا عندما يكون الحكم في أيدي أتباع متشددين من هذه الطائفة أو تلك. ومنذ القدم سعى كثيرون من المسلمين «للتقريب» بين المذهبين لكن كل هذه المحاولات لم تفلح، لماذا؟ لأنها تسعى إلى أمر مستحيل وهو القضاء على التنافس بين الناس، وهذا أمر لا ضرورة له ولا جدوى منه لأنه قائم بين الإخوة والآباء والأبناء كما هو قائم بين الزملاء والأصدقاء والخصوم ولكن بدرجات متفاوتة وصور مختلفة. الشعوب الأوروبية المسيحية تمكنت من ارساء التنافس بينها على اسس سليمة بعد حربين عالميتين طاحنتين، ومنذ ذلك الحين أصبح التنافس بين بلدان أوروبا وأميركا سلميا عن طريق تبني النظم الديموقراطية التي تمنع حدوث الحروب. وحسب دراسة حديثة فإنه لم تجر حرب بين دولتين يقوم فيهما نظام ديموقراطي حتى الآن. هناك خلافات واختلافات بين كل بلدان العالم وكل الفئات المجتمعية العالمية الدينية منها والاجتماعية والعلمية والأكاديمية والطبقية وغيرها، إلا أنها بقيت ضمن إطار الاختلاف في الرأي في معظم الأحيان، وتحولت إلى صراعات فقط عندما يكون هناك تنافس وخشية عند أحد الأطراف من غلبة الطرف المقابل عليه وإقصائه أو اجتثاثه.

مشكلة السنة والشيعة ليست فقط في التنافس أو السجال المذهبي الذي ظل قائما طوال أربعة عشر قرنا بل السعي لكسب مذهب على حساب الآخر. فقد رأينا سنة يتحولون إلى شيعة لينظر اليهم كأبطال وفاتحين عند كثير من الشيعة فتحتفي بهم مؤسسات شيعية هي في أكثر الأحيان أهلية. وتروج هذه المؤسسات لأفكارهم وآرائهم وكتبهم ويستقبلون في بلاد الله الواسعة ويلقون المحاضرات التي هي عبارة عن نقد إما للمدونات التاريخية لسيرة بعض الشخصيات المتبناة من قبل المذاهب الأخرى أو مقارنة فقهية بين المذاهب الشيعية والسنية وكيف يتميز هذا الفقه عن ذاك. وفي المقابل أيضا رأينا شيعة يتحولون إلى سنة وينتقدون آراء الشيعة وعقائدهم وعاداتهم ويلقون كل ترحيب وتشجيع وترويج من مؤسسات سنية رسمية أو أهلية.

لست باحثا في التاريخ الاسلامي ويقتصر اهتمامي به على تأثيره على حياتنا الحالية، فنحن ربما الأمة الوحيدة بين الأمم التي لا تزال تتنازع وتختلف وتقتتل على تفسيرات مختلفة للأحداث التاريخية، وهذه في الحقيقة كارثة حقيقية وتتطلب حلا ملحا. ولا أريد هنا أن أقدم رأيا في هذا الاتجاه أو ذاك، فكلا الاتجاهين محترمان بالنسبة لي، لكن يجب القول إن هذا المنحى الذي سارت عليه الأمور في البلاد الإسلامية هو منحى خطير ومدمر وهو الذي قادنا إلى ما نحن عليه في العراق اليوم ولا سبيل للخلاص من هذه الدوامة إلا إذا تخلى الطرفان، عن قناعة، عن الترويج لبعضهما البعض بين أتباع بعضهما البعض. ولا بد أن يسبق هذا العمل إدراك وقناعة تامة بأن مستقبل الطرفين متوقف على هذا التعايش مع الآخر والقبول به والامتناع عن مهاجمته بأي صورة من الصور. قد تبدو هذه الدعوة طوباوية أو ربما مستحيلة لكننا إذا ما نظرنا إلى الثمن الذي يدفعه الناس من الجانبين من حياتهم وممتلكاتهم وسعادتهم فإن هذه الدعوة تبدو ملحة وقابلة للتحقق. فكم إنسان بريء قتل في هذا الطريق خلال الأعوام الثلاثين المنصرمة على الأقل، منذ أن تأجج هذا الخلاف التاريخي بعد نجاح الثورة الإيرانية، في كل من باكستان وأفغانستان والهند وإيران ولبنان والآن العراق؟ وكم رجل دين قتل من الجانبين وكم مسجد أو مركز ديني هدم أو انتهكت حرمته؟ وكم هي الجهود التي بذلت للتقريب والتحقيق والتوفيق والإقناع والتبشير والدعوة إلى هذا المذهب أو ذاك؟ ما الذي تحصل عليه المؤسسات الشيعية إن تحول شخص سني أو مئة أو ألف إلى التشيع؟ وما الذي تحصل عليه المؤسسات السنية من دحض هذه النظرية الشيعية أو تلك أو إقناع هذا الشخص أو ذاك ببطلان عقائد الشيعة؟ بل وما الذي يريد الطرفان أن يحققاه من هذه المساعي الحماسية الحثيثة المتسارعة لإثبات خطأ الآخر؟ كيف يهمل الفقهاء ورجال الدين من الطرفين إيجاد حل عملي وغير نظري لهذه المشكلة كي يوقفوا الاقتتال المتواصل بين الناس؟ ستبقى هذه المشكلة تلاحق الأجيال إن لم تقدم الجهات الرسمية الإسلامية من الجانبين على منع هذا الصراع الدائر على تفسير أحداث التاريخ القديم وتحصره بين المؤرخين فقط، وإن لم تتوقف الحكومات على الأقل عن دعم مذهب على حساب آخر. إن الحل ممكن وفي متناول اليد لو وجدت النية الصادقة في طي هذه الصفحة من التاريخ والتوجه نحو بناء المستقبل وتطوير الإنسان المسلم وجعله يعتمد الأساليب العلمية في التفكير والعمل بدلا من إيجاد المبررات التاريخية والفقهية للبقاء خارج عجلة التاريخ وإطار التقدم. ومثلما يوجد هناك انسجام ووئام ومحبة بين أتباع المذاهب السنية الأربعة والمذاهب الشيعية المتعددة التي لا تتنافس بينها ولا يشجعها أحد على التنافس، فإن بالإمكان أن يكون هناك سلام وقبول وتعايش بين السنة والشيعة في العراق وكل البلاد الإسلامية إن توقفت مساعي كسب الأتباع وإثبات خطأ الآخر عند الطرفين.

كاتب وصحفي عراقي

أخي المواطن أختي المواطنة

معركتنا مع الإيدز معركة التزام جماعي .. الكل يشارك .. الكل مسؤول

هكذا تحدث الزنداني !

إلهام مانع

هكذا تحدث شيخنا الجليل.
وليته ما فتح فمه.
ليته أغلقه، وسكه بالضبة والمفتاح.
لكن ما لم يقله كان أكثر إفصاحاً

الشيخ الذي أعنيه هو الشيخ عبدالمجيد الزنداني، رئيس مجلس شورى حزب التجمع اليمني للإصلاح.

وحديثه أدلى به إلى الصحافي سامي كليب في برنامج "زيارة خاصة" الذي بثته قناة الجزيرة الفضائية يوم الجمعة الموافق ٢٣ فبراير٢٠٠٧.

تحدث الشيخ عن أمور كثيرة، وصمت عن أمور أخرى. وعندما صمت كان صمته كلاماً!

رفض على سبيل المثال أن يدلي برأيه عن أسامة بن لادن.
قرر أن لا يتحدث عنه لا بالخير، ولا بالشر.
وإن كان يميل إلى الحديث عنه بالخير.
يميل كثيراً..
أعمى من لم ير الحرج الذي أصابه.
ويقول "ليذهب إليه من يريد أن يعرف أسبابه ويسأله".
ألا يستحي شيخنا؟
كل هذا الدمار، هذه الدماء، ولا ينتقد؟
كأن بن لادن لم يتسبب بالمصائب لمنطقتنا؟
هل نسيتم السبب؟
هل نسيتم البداية؟
هل كانت الولايات المتحدة ستهاجم أفغانستان، ثم تجد العذر لغزو العراق لولا تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر الإرهابية؟
وهي إرهابية أخوتي.
لا صفة لها غير ذلك.
ثلاثة آلاف مدني، بين طفل وامرأة ورجل، قُتلوا بلا ذنب، قُتلوا وهم آمنون.
فهل نسمي ما حدث عملاً إنسانياً؟
لم تكن هناك حرب أفغانستان حتى نغضب منها.
لم تكن هناك حرب العراق حتى نحقد على من سيرها.
ولم تكن قضية فلسطين الهدف من تحرك بن لادن، بل ببساطة إخراج "القوى الصليبية والصهيونية من أرض شبه الجزيرة"، يعني إزالة القواعد العسكرية والقوات الأمريكية من السعودية. كان هذا حديثه آنذاك.
هل نسيتم هذا؟
لا تنسوا الأسباب.
لا تنسوها.
فمقدرتنا على فعل ذلك عجيبة.
كما لا تنسوا البدايات.
لأننا إن فعلنا تهنا.
البداية كانت مع ذلك العمل الإجرامي.
وشيخنا صامت.
شيخنا محرج.
شيخنا لا يريد أن يرفع صوته ناقداً.
ألا يستحي؟
شيخنا الجليل تحدث أيضاً عن المرأة، وعندما فعل تمنيت لو أنه صمت، لكني مع ذلك كدت أبتسم.
لنستمع إليه وهو يرد على سؤال الصحافي القدير "هل حضرتك مع أن تصبح المرأة وزيرة أو سفيرة؟"
الشيخ: "أسألك سؤالاً، لماذا لم تنتخب إمراة رئيسة للجمهورية في الولايات المتحدة منذ ٣٠٠ عام؟"
(يقاطعه سامي كليب قائلا: "يبدو أنها ستنتخب"، يقصد ترشح هيلاري كلينتون للرئاسة)
لكن الشيخ يصمم "لا، لا، أسألك عن ٣٠٠ عام، المرأة يفترض أن تتزوج أو يحكم عليها بالتبتل؟ ما رأيك في هذا؟"
رد عليه الصحافي القدير بالقول "تتزوج إذا شاءت"
شيخنا الجليل لا فض فوه، رد قائلاً "لا، لا بد أن تتزوج، مش إذا شاءت، لا بد أن تتزوج المرأة لان الله خلقها لذلك، إذا حملت المرأة وإذا ولدت وإذا أرضعت، اليوم في بريطانيا يعطون المرأة سنة للإرضاع لم لا يعطونها للرجل؟"
حسناً.
كما قلت لكم، كدت أبتسم.
أبتسم لان الإناء ينضح بالماء الذي فيه. وعقلية الشيخ الجليل تظهر ببساطة أنه لا يعرف من العالم الكثير.
وهو أمر مفهوم من شخصية صقلتها بشكل رئيسي تجارب "تكفيرية" عايشها في (الحركة الوهابية) وحركة (الأفغان العرب) في أفغانستان.
هو لم يعرف من العالم غير ذلك، كما لم يعايش من الفكر إلا فكراً جهادياً عنيفاً يقسم العالم إلى معسكرين، واحد للمؤمنين وأخر للكافرين، وداخل المعسكر الأول تقف المرأة دائماً في الخلف، تسمع وتطيع وتنجب.
هل نلومه إذا كان يرى العالم من خرم إبرة؟
زد على ذلك أن الغرب لديه نموذجان، الولايات المتحدة وبريطانيا.
هو لا يعرفهما أيضاً في الواقع. كل ما يعرفه هو ما قرأه عنهما. و ما قرأه لا يكفي.
ولو قرأ أكثر، لو سافر أكثر، لو اختلط بالبشر أكثر، بتنوعهم وثرائهم الفكري، سيرى أن النموذج في مشاركة المرأة السياسية ليست الولايات المتحدة (أليس من الغريب أن يعتبرها الشيخ النموذج وهو الداعي إلى دمارها؟)، ولا بريطانيا، بل الدول الإسكندنافية.
هناك يتقاسم الرجل والمرأة السلطة بالمساواة، والسلطة هنا تعني التشريعية والتنفيذية والقضائية.
هناك لا يهم إذا كان الحاكم رجلاً أو امراة.
كلاهما إنسان.
وكلاهما يعمل كخادم لشعبه عندما يصل إلى السلطة.
وكلاهما قادر على أن يبدع وينتج.
ليسا عدوين لبعضهما.
ليسا في حالة تنافس.
ليسا في معركة على أحدهما أن ينتصر فيها ويقود الثاني.
بل شريكان.
رجلاً وإمراة.
إنسان وإنسان.
وهناك يحصل الرجل كما المرأة على إجازة أبوة، سنة كاملة أو أكثر لو أراد.
معلومة جديدة يا شيخنا الجليل؟
والرجال يأخذون تلك الإجازة مبتهجين.
هل اندهشت أيها الشيخ الجليل؟
فالطفل هناك شأن يتعلق بالأسرة، بالأم كما الأب.
لأن الأسرة هناك كما الزواج مسألة شراكة.
يتعاون فيها الرجل والمرأة، فردان عاقلان بالغان راشدان، على الحياة في درب مشترك، باختيارهما! بإرادتهما الحرة.
فليس بالقهر تتزوج النساء يا شيخنا العزيز.
لا هنا، ولا هناك.
لكن شيخنا لا يعرف ما المرأة.
لا يعرفها بالغة راشدة.
لا يعرف ما الجمال في قوتها.
لم يجرب مرة أن يراها كإنسان، مثله.
شيخنا لا يرى فيها سوى ما يخيفه،
ما يخشاه،
ما يهابه،
ثم لا يرى فيها سوى ما يؤكد عادات بدوية أبوية متسلطة،
وبالية (هكذا يجب وصفها إخوتي)،
لا علاقة لها لا بالدين ولا بتفسيره،
ربي وربكم لم يقل "على المراة الزواج شاءت أم رفضت"،
ربي وربكم لم يقل "لا يجوز للمرأة ان تقود الرجال الأجانب"،
فشيوخ وعلماء أجلاء كثيرون، من السنة والشيعة، قالوا "بل يجوز لها فعل ذلك"،
والفكر العاقل الحر يقول "بل هي قادرة على فعل ذلك".
ألا نتغنى صباحاً و مساءاً ببلقيس ملكة سبأ؟ بأروى ملكة اليمن؟
ألا نفخر نحن اليمنيين بأمة العليم السوسوه؟
هل نسيتها يا شيخنا الجليل؟
لكنك بالتأكيد لم تنس رؤوفة حسن؟
معك حق. لا داعي لفتح الملفات القديمة.
أذكرك بها لأننا نرفع رأسنا في الخارج بها أيضاً.
هل قرأت لابتسام المتوكل؟ أو لأروى عثمان؟
عليك أن تقرأ لهما.
لكني أعرف أنك لا ترى الجمال في الشعر،
كما تنفر من الكلمة عندما تخرج عن إطارك الفكري.
تلك نماذج عندما وجدت الفرصة نبغت وأبدعت.
وغيرهن كثيرات.
ودورنا أن نهيئ للمرأة اليمنية الفرصة كي تبدع وتحيا.
لا أن نضع في طريقها العراقيل،
ألا يكفي الفقر والجهل حتى نزيد عليهما بفكر بالي؟
لكن شيخنا يقول "هكذا يقول الله، هكذا يقول الرسول، وعليكم السمع والطاعة".
ويرفع صوته وهو يقول،
ويبهرهر وهو يقول،
وشيخنا هو الذي يقول،
شيخنا هو الذي يقول،
لا الله ولا رسوله،
تنزه الله تعالى عما يقول.
إذن،
هكذا تحدث شيخنا الجليل.
عندما صمت تمنيت أنه لم يصمت.
وعندما تحدث تمنيت لو أنه سكت.
وكلاهما،
حديثه وصمته،
كانا مخزيين.